

الفصل الثاني

الموالي في العصر العباسي الأول

مع سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية تنفس الموالى الصعداء وأحسوا بأهميتهم وكيانهم في ظل العباسيين ونالوا بعض أمانهم وتحققت بعض آمالهم التي طالما جدوا في طلبها ولكن لم تتحقق لهم كل الآمال والتي يتقدمها القضاء على السيادة العربية وإقامة دولة فارسية .

ولما كان من الصعب العسير على الموالى أن يتحقق لهم أملهم المنشود في إعادة المجد الفارسي في ظل بنى أمية فقد سعوا بجدية في إسقاط دولة بنى أمية وتنحيها من طريقهم وراحوا يترقبون الوقت الذي يسمح لهم بالخروج عليهم (١) .

بعد أن طاقت نفوس الموالى إلى التخلص من حكمهم نظراً لما ارتكبوه من وسائل العنف في قمع ثورات العلويين ، ولهذا مالوا إلى نصره الهاشميين لأنهم أقرب إلى رسول الله (ﷺ) من الأمويين ، وبدأ هذا الميل بقوة بعد مقتل زيد بن علي وابنه يحيى . فإن هؤلاء الموالى اعتقدوا أن اعتناقهم الإسلام لم يسو بينهم وبين العرب والدليل على ذلك أن المسلمين من غير العرب قد لحقوا بعد اعتناقهم الإسلام ببعض القبائل العربية ليكونوا موالى لتلك القبائل .

وفي وسط هذه الحقبة المملوءة بالخلافات والاضطرابات ظهر أبو مسلم الخراساني ، إذ وجد الفرصة سانحة لإلقاء بذور الفوضى وشن الغارة على أعدائه فقام بالدعوة لآل البيت وهو يخفى من ورائها الآمال والمطامع في إرجاع المجد الفارسي القديم والنيل من العرب تحت ذلك الستار الخادع البراق ستار الدعوة لآل البيت (٢) .

فما إن ظهرت بوارق هذه الدعوة حتى سارع الموالى إلى تأييدها والإنضواء تحت لوائها ، بل أنهم وجدوا فيها ضالتهم المنشودة وأمانهم

(١) الطيب النجار - الموالى في العصر الأموي ص ١١٧ .

(٢) إبراهيم حسن - تاريخ الإسلام ١٧/٢ .

الضائعة . كما أسرع أهالي خراسان إلى تأييد هذه الدعوة ونصرتها ،
فجاءوا إلى أبي مسلم من كل حدب يسلمون .

ويصور الدينوري^(١) هذا التأييد بقوله : (وانجفل الناس على أبي مسلم
من هراة^(٢) وبوشنج^(٣) ومرو الروذ^(٤) والطاقان ومرو ونسا^(٥) وبيور^(٦)
وطوس^(٧) ونيسابور^(٨) وسرخس^(٩) وبلخ^(١٠) والصغانيات^(١١)
والطخارستان^(١٢) وختلان وكش^(١٣) ونسف^(١٤) ، فتوافدوا جميعاً مسودى
الثياب وقد سودوا أيضاً أنصاف الخشاب التي كانت معهم وسموها
كافركوبات وأقبلوا فرساناً وحمارة ورجالة يسوقون حميرهم ويزجرونها هر
مروان يسمونها مروان ترغيماً لمروان بن محمد وكانوا زهاء مائة ألف رجل ،
انطلق الموالي يؤيدون هذه الدعوة بكل ما أوتوا من قوة حتى إن نقباء
الدعوة العباسية كانوا اثني عشر رجلاً ، كان منهم خمسة من الموالي من

(١) الأخبار الطوال ص ٥٢٣ .

(٢) هراة - مدينة مشهورة من مدن خراسان بها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وبها جمع من
العلماء وأهل الفضل والثراء ، وهراة أيضاً مدينة بفارس قرب اصطخر . (معجم البلدان
٣٩٦/٥) .

(٣) بوشنج - بليدة نزهة في واد مشجر من نواحي هراة .

(٤) مرو الروذ - المرو هي الجحمارة البيض والروذ هو النهر بالفارسية وهي مدينة قريبة من مرو
الشاهجان وهي مدينة عظيمة وبها خلق من أهل الفضل والعلم .

(٥) نسا - مدينة بخراسان شديدة الحر .

(٦) بيورد - مدينة بخراسان بين سرخس ونسا وهي وبنة قليلة الماء (معجم البلدان ٨٦/١) .

(٧) طوس - مدينة بخراسان على بعد عشرة فراسخ من نيسابور وبها دار حميد بن قحطبة .

(٨) نيسابور - مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء .

(٩) سرخس - مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة واسعة وهي تقع بين نيسابور ومرو
(معجم البلدان ٢٠٨/٣) .

(١٠) بلخ - إحدى مدن خراسان كثيرة الخيرات واسعة الغلة .

(١١) صغانيان - ولاية عظيمة بما وراء النهر متصلة الأعمال بترمد ، كثيرة الخيرات .

(١٢) طخارستان - ولاية كبيرة واسعة تشتمل على عدة بلاد من نواحي خراسان .

(١٣) كشى - قرية قريبة من جرجان على جبل ويتسب إليها مجموعة من العلماء .

(١٤) نسف - هي مدينة كبيرة كثيرة الأهل والرئاسات بين سيحون وسمرقند (معجم البلدان

قبيلة خزاعة وسبعة من العرب من قبائل يمنية مشهورة هي طيء وتميم وبكر بن وائل .. هذا غير أسماء بعض الدعاة الآخرين ، فقد كانت هذه القبائل العربية وغيرها انتقلت إلى خراسان وذابت في سكان هذا الإقليم فارتبط كثير من الفرس لها بالولاء ، ولأهمية النقباء من موالي قبيلة خزاعة بالذات فقد اختير من مواليها سليمان بن كثير الخزاعي رئيساً للنقباء في خراسان وطلحة بن زريق ، ثم اختير للدعوة رئيس آخر على رأس النقباء والدعاة هو أبو مسلم الخراساني (١) .

بل حازت هذه الدعوة العباسية التي قادها أبو مسلم الخراساني ضد الأمويين أعجاب العرب وتأييدهم والوقوف من خلفها وانضموا إليها وآثروا الفرس على العرب أو قل آثروا بني هاشم على بني أمية ، ولكن الأعاجم ولاشك كانوا يمثلون الأغلبية في ثورة أبي مسلم الخراساني ، ومن صور تأييد العرب لدعوة أبي مسلم ما قام به قحطبة الطائي وكان من أعظم العرب نفوذاً وقوة في قومه ، فقد اندفع في قوة وحماس يخطب في أهل خراسان خطاباً يرفع فيه من شأن الفرس ويعلى من قدرهم ويغض من قيمة العرب ويحقر من منزلتهم فقال : « يا أهل خراسان هذه البلاد كانت لأبائكم الأولين وكانوا ينصرون على عدوهم بعدلهم وحسن سيرتهم حتى بدلوا وظلموا فسخط الله عز وجل عليهم فاتزع سلطانهم وسلط عليهم أذل أمة كانت في الأرض عندهم فغلبوهم على بلادهم واستنكحو نساءهم واسترقوا أولادهم فكانوا بذلك يحكمون بالعدل ويوفون بالعهد وينصرون المظلوم ثم بدّلوا وغيروا وجاروا في الحكم وأخافوا أهل البر والتقوى من عترة رسول الله (ﷺ) فسלטكم عليهم لينتقم منهم لكم لتكونوا أشد عقوبة لأنكم طلبتموهم بالثأر ، وقد عهد إلى الإمام أنكم تلقونهم في مثل هذه العدة فينصركم الله عز وجل عليهم فتهزموهم وتقتلوهم » (٢) .

(١) الجهشيارى - الوزراء والكتاب ص ٨٤ ، وماجد - العصر العباسي الأول ١ / ٣٣ .

(٢) الطبري - تاريخ الرسل والملوك ٧ / ٣٩١ .

أحس الأمويون عن قرب بنذر هذه الثورة التي تكاد أن تندلع بخراسان وأوجس الولاة التابعون لبني أمية في خراسان خيفة بعد أن أحسوا بتحركات أبي مسلم هنا وهناك ورأوا أن الخطر محقق بهم لا محالة ولاسيما بعد أن نزل أبو مسلم بين خندق نصر بن سيار وخندق جديع الكرمانى وخلفه الفريقان ورأى نصر قوته وكثرة من معه أسرع بالكتابة إلى مروان بن محمد يعلمه الحال ويطلعه على الوضع القائم .

فكتب إليه بأبيات من الشعر قال فيها :

أرى بين الرماد وميض جمر وأخشى أن يكون له ضراما
فإن النار بالعودين تزكى وإن الحرب مبدؤها كلام
فقلت من التعجب ليت شعرى أبقاظ أمية أم نيام
فإن يقظت فذاك بقاء ملك وإن رقدت فإنى لا ألام
ففرى عن رحالك ثم قولى على الإسلام والعرب السلام (١)
ولم يرد عليه مروان وإنما كتب إلى معاوية بن الوليد بن عبد الملك وعامله على دمشق يأمره أن يكتب إلى عامله على البلقاء أن يسرع الخطى إلى الحميمة ويأخذ إبراهيم بن محمد فيشده وثاقاً ويبعث به إليه .. ففعل ذلك فأخذه مروان وحبسه (٢) .

وكان السبب فى الإسراع بالقبض على إبراهيم بن محمد أن خطاباً وقد وقع بيد مروان بن محمد وهو بحمص كان قد أرسله إبراهيم إلى أبى مسلم الخراسانى يأمره فيه أن لا يدع بخراسان متكلماً بالعربية إلا قتله ، ومما جاء فيه أيضاً :

دونك أمراً قد بدت أشراطه أن السبيل واضح صراطه

لم يبق إلا السيف واختراطه (٣)

أما نصر بن سيار فإنه استبطأ المدد وأعيته الحيل فى أمر الكرمانى فى كتب إلى يزيد بن عمرو بن هبيرة الفزارى عامل مروان على العراق

(١) ابن الأثير - الكامل ٥٣٧/٤ ، والطبري - تاريخ الرسل والملوك ٣٦٩/٧ .

(٢) ابن الأثير - الكامل ٤ ، ٥٣٨ .

(٣) المسعودي - مروج الذهب ٢٥٧/٣ ، وابن الأثير - الكامل ٥٣٩/٤ .

يستمدده ويسأله العون والنصرة على عدوه القريب منه ، وضمن كتابه
أبيات شعر جاء فيها :

أبلغ يزيد وخير القول أصدقه قد تبينت أن لا خير في الكذب
بأن أرض خراسان رأيت بها أيضاً لو فرخ قد حدثت بالعجب
فراخ عامين إلا أنها كبرت لما يطرن وقد سربلن بالزغب
ألا تدارك بخيل الله معلمه ألهبن نيران حرب أيما لهب (١)

في ذلك الوقت كانت الأمور كلها تسير في اتجاه يخدم أبا مسلم ،
فقوى أمره وغلب على أكثر خراسان ، بينما كان أمر نصر يسير إلى
ضعف وانحطاط بسبب عدم وصل النجدة إليه فصار حتى خرج من
خراسان وأتى الرائي وهناك كتب كتاباً إلى مروان يذكر فيه خروجه عن
خراسان وأن الأمر الذي أزعجه سينمو حتى يملأ البلاد وضمن ذلك أبياتاً
من الشعر هي :

أنا وما نكتم من أمرنا كالثور إذ قرب للناخع
أو كالتى يحسبها أهلها عذراء بكرأ وهى فى التاسع
كنا نرفيها فقد مُزقت واتسع الخرق على الراقع
كالثوب إذا نهج فيه البلى أعياء على ذى الخيلة الصانع (٢)

ومن العجب أن الوقت الذى كانت تندفق فيه الجموع من العجم والعرب
للانضمام إلى أبى مسلم والالتفات حوله من أجل الفوز والنصر على بنى
أمية ، كانت العصبية القبلية تمزق قوة العرب فى خراسان وتذهب بها
كالريح العاصف ، حيث كانت الزعامة القبلية بين المضربين واليمانيين
تتزايد يوماً بعد يوم من أجل الزعامة والغلبة ، وكان لوجود الشعراء أثر
كبير فى إزكاء هذه النوعية من العصبية بين القبائل الحاكمة ، فالشاعر
الكميت وهو من مضر بن نزار يكثّر من تفضيل قومه ويطنب فى وصف
محاسنهم ويفضلهم على قحطان فيقول :

(١) المصدر السابق ٣/ ٢٥٧ .

(٢) المسعودي - مروج الذهب ٣/ ٢٥٨ .

لنا قمر السماء وكل نجم تشير إليه أيدي المهتديننا
وجدت الله إذ سمى نزاراً وأسكنهم بمكة قاطنيننا
لنا جعل المكارم خالصات وللناس القفا ولنا الجبين
فيرد عليه دعبل الخزاعي مفتخراً بقوله .

لقد علمت نزار أن قومي إلى نصر النبوة فاخريننا (١)

بل إن أبا مسلم سعى في إشعال وإزكاء الفتنة بين القبائل العربية
وإغراء نار العداوة والبغضاء بينهم ولاسيما وأنه كان يتمتع بالدهاء
والذكاء (٢) .

ولما وجد نصر أن نار الفرقة والانقسام بين العرب تنمو وتشتد كتب
إلى ربيعة اليمنى يحذرهم هذا العدو الداخل ويحثهم على الاتفاق والترابط
فبعث يقول :

أبلغ ربيعة في مرو وإخوتها أن يغضبوا قبل إلا ينفع الغضب
ما بالكم تلقحون الحرب بينكم كأن أهل الحجا عن فعلكم عيب
وتتركون عدواً قد أظلكم ممن تأشب لا دين ولا حسب
ليسوا إلى عرب منا فتعرفهم ولا صميم الموالي إن هموا نسبوا
قوماً يدينون ديناً ما سمعت به عن الرسول ولا جاءت به
الكتب

فمن يكنى سائلي عن أصل دينهمو فإن دينهمو أن تقتل العرب (٣)
ولعل في هذا تصوير بارع للحالة القائمة التي كانت عليها بنو أمية
وما كانت عليه القبائل العربية من فرقة وانقسام ، ولكن ما الحيلة وقد سبق
السيف العزل فلم تعد تنفع هذه المواعظ .

هذا إلى جانب وجود عوامل الضعف والإنهيار التي كانت متشعبة

(١) المصدر السابق ٣ / ٢٤٤ .

(٢) الطيب النجار - الموالي في العصر الأموي ، عبد المنعم ماجد - العصر العباسي الأول ١ / ٣٣

(٣) ابن الأثير - الكامل ٤ / ٥٣٩ .

بصورة واضحة في دولة بنى أمية والثورات العنيفة التي قام بها الخوارج ضد الأمويين ، كل هذا أقضى مضجع الدولة الإسلامية وأوهن كيانها وبتيانها فسقطت صريعة على الأرض أمام جيوش العباسيين .

وبسقوط الدولة الأموية تحقق للموالى بعض أمانتهم التي طالما انتظروها في ظل بنى أمية دون جدوى ، والحق أن الخلفاء العباسيين منذ أن قامت دولتهم لم ييخسوا الموالى حقهم في تولى المراتب السامية والمنازل العالية والوظائف المهمة في الدولة العباسية .. بل اعترفوا بجهودهم التي بذلوها في سبيل قيام دولتهم ، فالخليفة أبو جعفر المنصور يخطب في أهل خراسان فيقول: « يا أهل خراسان أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دعوتنا » (١) .

ويقول السيوطي (أن المنصور أول من استعمل مواليه على الأعمال وقدمهم على العرب وكثر ذلك بعده حتى زالت رئاسة العرب وقيادتها) (٢) .

وهو اعتراف منه بفضل الموالى في قيام الدولة العباسية ، بل أنه ظل على وفائه لهم حتى أنه أوصى ولده المهدي قبل وفاته بهم فقال : (وانظر مواليك فأحسن إليهم وقربهم واستكثر منهم فإنهم مأذك لشدة إن نزلت بك وما أظنك تفعل وأوصيك بأهل خراسان خيراً فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم في دولتك ودماءهم دونك ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم أن تحسن إليهم وتتجاوز عن مسيئتهم وتكافئهم على ما كان منهم وتخلف من مات منهم في أهله وولده) (٣) .

ويروى عن المنصور أيضاً أنه أول خليفة استعمل مواليه وغلمايه وصرفئهم في مهماته وقدمهم على العرب فاتخذت ذلك الخلفاء من بعده من ولده سنة فشقطت وبادت العرب وزال بأسها وذهبت مراتبها (٤) .

والحق أن العباسيين قد أفسحوا المجال أمام الموالى وفتحوا أمامهم الأبواب في تولى الوظائف الرسمية في الدولة فكان منهم الوزراء والولاة والكتاب

(١) المسعودي - مروج الذهب ٣ / ٢٩٥ .

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٢٧٠ .

(٣) الطبري - تاريخ الرسل والملوك ٨ / ١٠٣ .

(٤) المسعودي - مروج الذهب ٣ / ٣١٨ .

والشعراء والبلغاء والخطباء ورؤساء الدواوين .

ويرى بعض الباحثين أن ذلك راجع إلى أن العجم أخذوا المبادرة منذ نشأة الدولة العباسية فاحتلوا أهم مناصبها وأصبح لهم نفوذ مؤثر في سياسة العباسيين على أساس أنهم سبب قيام دولتهم (١) .

وازداد نفوذ الموالي ولاسيما من أهل خراسان في عصر الرشيد ، وهذا راجع إلى دور البرامكة كانوا القائمين على شئون الدولة فاستتبع نفوذهم نفوذ جنسهم من الفرس .

ويؤكد هذه الحقيقة ابن خلدون بقوله : أن بني أمية كانوا يستطهرون في حروبهم وولاية أعمالهم برجال العرب ، ثم يقول بعد كلام طويل (وكذا صدر من دولة بني العباس كان الاستظهار فيها أيضاً برجال العرب فلما صارت الدولة للإنفراد بالمدج وكبح العرب عن التناول للولايات صارت الوزارة للعجم والضائع من البرامكة وبني سهل بن نويخت وبني طاهر ثم بني هويبه وموالي الترك) (٢) .

وزاد من نفوذ موالي خراسان خلال تلك الفترة أن أصحاب السلطة منهم والقرييين من بلاط الخلفاء العباسيين كالفضل بن يحيى البرمكي .. كانوا يقومون بتقريب الموالي من المناطق الحيوية في الدولة ليصبح لهم شأن ومكانة ومن ذلك ما يرويه الطبري (أن الفضل بن يحيى اتخذ بخراسان جنداً من العجم سماهم العباسية وجعل ولاءهم لهم وأن عدتهم خمسمائة ألف رجل وأنه قدم منهم بغداد عشرون ألف رجل فسموا الكرنبية) وخلف الباقي منهم بخراسان على أسماءهم ودفاترهم ، وفي ذلك يقول الشاعر :

كتائب لبني العباس قد عرفت ما ألف الفضل منها العجم والعرب
اثبت خمس مئين في عدادهم من الألوف التي أحصت لك الكتب
يقارعون عن القوم الذين هم أولى بأحمد في الفرقان إن نسبوا (٣)

لقد تبدلت الأحوال وتغيرت الأمور لصالح الموالي في ظل العباسيين

(١) عبد المنعم ماجد - العصر العباسي الأول / ١ / ١٥٤ .

(٢) المقدمة ص ١٢٩ .

(٣) تاريخ الرسل والملوك ٨ / ٢٥٧ .

وتغير وضعهم الاجتماعى فرجحت كفتهم وارتفعت منزلتهم بعد أن تمكنوا من الوصول إلى أرقى المناصب فى الدولة وهى الوزارة^(١).

فتولاها فى عصر السفاح أبو سلمة الخلال مولى بنى الحارث بن كعب ، وفى عهد المنصور توالى الوزراء من الموالى أبو أيوب سليمان المورىانى ثم أبو الفضل الربيع بن يونس ثم تولاها خالد بن برمك جد البرامكة وبلغ شأنه عظيماً عند الخليفة حتى أن أصحاب الحاجات كانوا يقصدونه أملاً فى قضائها على يديه^(٢).

وفى عهد المأمون زاد نفوذهم وارتفع ذكرهم بسبب الفتنة التى قامت بين الأمين والمأمون مما أدى إلى تجدد الصراع بين العرب والعجم فى صورة أكثر حيوية وأشد عنفاً ، فإن أغلب الفرس تعصب للمأمون لأنه من نسل فارسى وكان يسيطر على الأقاليم الفارسية وما فتىء يعلن ميله للعجم ، ولهذا سلم أمره إلى الفضل بن سهل الذى ينحدر من أسرة إيرانية ، بينما تعصب العرب للأمين لأن أمه وأباه عريبان .

واشتعلت الفتنة بين المأمون وأخيه الأمين أو قل بين العرب والعجم من أهل خراسان ورفض المأمون أن يسوى بينهم فى المعاملة والعطاء ، ولما طالبه أحد أبناء الشام بالمساواة والعدل بين الرعية قال له (أكثرت على والله ما أنزلت قيساً من ظهور خيولها إلا وأنا أرى أنه لم يبق فى بيت مالى درهم واحد)^(٣).

فلما كان عصر المعتصم أحل الترك كل الفرس وأخذت شمس الموالى الفرس تميل إلى الغروب بسبب تنكيل الترك بهم .

وبالرغم مما ناله الموالى من المناصب العالية والمنازل السامية فإنهم لم يقتنعوا بها بل كانوا يطمعون ويطمحون إلى أبعد من ذلك من تحويل الدولة إلى ملك كسروى ، وتشبعت نفوسهم بعد أن تحققت لهم بعض الأمانى بطابع التشفى والانتقام من العرب نتيجة الرواسب التى كانت تحملها ضمائرهم الخبيثة للعرب والمسلمين ، بل أنهم حاولوا إثبات قوتهم بسلب السلطة من

(١) الطيب النجار - الموالى فى العصر الأموي ص ١٣٣ .

(٢) الطبري - تاريخ الرسل والملوك ٨ / ١١٤ ، المسعودى - مروج الذهب ٣ / ٢٨٤ .

(٣) ابن الأثير - الكامل ٥ / ١٢٨ .

أيدى الخلفاء عن طريق إلقاء الفتن والدسائس بين العرب المسلمين ، ولكن يقظة الخلفاء العباسيين أجبقت كل هذه الدسائس وأحسوا باستبداد الموالي من حولهم فنكلوا بهم فكان تنكيل الخلفاء بالوزراء والولاة يقع من حين لآخر قبل أن يفلت الزمام من أيديهم .

يقول ابن خلدون : وإنما نكب البرامكة ماكان من استبدادهم على الدولة واحتجاجهم أموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه فغلبوه على أمره وشاركوه فى سلطاته ولم يكن لهم معهم تصرف فى أمور ملكه فعظمت آثارهم وبعد صيتهم وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وضائعهم واحتازوها عمّن سواهم من وزارة وكتابة وحجابه وسيف وقلم (١) .

ثانياً - استبداد أبى مسلم الخراسانى ونهايته :

ولعل أوضح صورة لاستبداد الموالي العجم ومحاولتهم الاستقلال بما تحت أيديهم ماكان من أمر أبى مسلم الخراسانى الذى صار والياً على خراسان ، فقد عظم أمره وذيع صيته وقد لجأ إلى التخلص من الكبار الذين ساهموا بنصيب وافر فى قيام الدولة العباسية لكى تظل له السيطرة وحده ، فقتل سليمان بن كثير الخزاعى أول النقباء الاثنى عشر ، كما تكفل بقتل أبى سلمة الخلال أول الوزراء الرسميين وكان له يد فى قتل ابن هبيرة أحد كبار العرب ، حتى أحصى من قتلهم أبو مسلم فبلغوا ستمائة ألف (٢) .

وازداد نفوذ أبو مسلم حتى أصبح له من القوة والنفوذ ما أزعج الخليفة أبو جعفر المنصور بالإضافة إلى عدم إجلاله للمنصور والاستهانة بأمره والحط من هيئته (٣) .

فيذكر المسعودى (أن المنصور قال يوماً لسالم بن قتيبة : ما ترى فى أمر أبى مسلم ؟ قال « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » فقال حسبك لقد أودعتها

(١) المقدمة ص ١١ .

(٢) الطبري - تاريخ الرسل والملوك ٧ / ٤٨٥ ، وعبد المنعم ماجد - العصر العباسي الأول ١ / ٦٠ .

(٣) ابن الأثير - الكامل ٤ / ٦٣٢ .

أذنأً واعية(١) ، أو قال إمسك لقد فهمت ما أردت(٢) .

ويروى فى تعاضم أبى مسلم وتكبره حتى على الخليفة أن الخليفة أبى العباس السفاح وجه أخاه أبى جعفر المنصور إلى خراسان وأمره أن يأتى أبى مسلم فيناظره فى بعض الأمور ووجه معه ثلاثين رجلاً من وجوه القواد وفيهم الحجاج بن أرطاه الفقيه ، فلما قدم المنصور على أبى مسلم لم يبالغ أبى مسلم فى بره وإكرامه ولم يظهر السرور والبهجة بقدمه ، فانصرف إلى أبى العباس وقال : لست بخليفة مادام أبى مسلم حياً فاحتال لقتله قبل أن يفسد عليك أمرى ، فقد رأيتك وكأنه لا أحد فوقه ومثله لا يؤمن غدركه ونكته . فقال أبى العباس : وكيف يمكن ذلك ومعه أهل خراسان وقد أشرب قلوبهم حبه واتباع أمره وإيثار طاعته ؟ فقال أبى جعفر : فذاك والله أحرى الاتأمنه فاحتال له ، فقال أبى العباس : يا أخى أضرب على هذا ولا تعلمن رأيك فى ذلك أحد(٣) .

كان الخليفة المنصور يكره أبى مسلم لصلفه وتكبره حتى أنه أشار على أخيه السفاح بقتله فامتنع السفاح وقال : كيف يكون ذلك مع حسن بلائه فى دولتنا(٤) .

وفى خلافة المنصور ساءت العلاقة بينه وبين أبى مسلم بسبب أن أبى مسلم لم يهنئه بالخلافة ولم يحضرن لمبايعة المنصور وأحسن المنصور منه بالغدر منذ أن استقل بولاية خراسان الأمر الذى جعل الخليفة يفكر فى التخلص منه فعزم على قتله(٥) .

ولسنا بصدد سرد الأحداث ولا حصر الأسباب التى أدت إلى قتل أبى مسلم الخراسانى فليس هذا مجال بحثنا وكل ما يهمنا هو التأكيد على قوة ونفوذ الموالى واستبادهم بالرأى حتى من دون الخليفة مما دفع الخلفاء إلى

(١) مروج الذهب ٣/٣٠١ .

(٢) ويذكر أبى حنيفة الدينورى أن المتحدث إليه هو الحجاج بن أرطاة وليس سالم .

(٣) أبى حنيفة الدينورى - الأخبار الطوال ص ٥٣٦ .

(٤) ابن طباطبا - الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٦٨ .

(٥) انظر الطبرى ٧/ ٤٨٧ .

التنكيل بهم والتخلص منهم ، كما فعل المنصور مع أبي مسلم والرشيد مع البرامكة .

ويذكر المؤرخون الحوار الأخير الذي دار بين المنصور وأبي مسلم قبل أن يقتل فيعد أن جرد أبو مسلم من سيفه وسلاحه وجلس على وسادة دخل المنصور عليه فجعل يحادثه ساعة ثم شرع في توبيخه وتقريعه على أفعاله وسقطاته وأبو مسلم يعتذر في كل مرة ، ثم قال أبو مسلم : ليس يقال هذا لى بعد بلائى وما كان منى . فقال له يا ابن الخبيثة إنك لمستعظم غير العظيم ، وإنما فعلت ذلك بنا وبدولتنا ، ولو كان مكانك أمة سوداء لأجزت ، أأست الكاتب إلى تبدأ بنفسك والكاتب إلى تخطب آسية^(١) بنت على وتزعم أنك من نسل سليط بن عبد الله بن عباس ، أأست الفاعل كذا وكذا ، لقد ارتقت مرتقاً صعباً ، ثم أمر به فقتل^(٢) .

وبعد أن سقط أبو مسلم صريعاً على الأرض والدماء تقطر من كل أعضائه نظر إليه المنصور وقال :

زعمت أن الدين لا ينقضى فاستوف بالكيل أبا مجرم
اشرب بكأس كنت تسقى بها أمر فى الحلق من العلقم^(٣)

وكفن أبو مسلم فى مسح أعدت لذلك ونشر أبو جعفر الدراهم والدنانير على أصحاب أبى مسلم فأمسكوا عن الكلام رغبة ورهبة^(٤) .

وأراد المنصور أن يهدىء من روع الناس فقام فيهم خطيباً ، فقال : أيها الناس لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ولا تمشوا فى ظلمة الباطل بعد سعيكم فى ضياء الحق ، إن أبا مسلم بايعنا وبايع لنا على أنه من نكث بيعتنا فقد أباح لنا دمه وأنه أخذ من الناس بنا أكثر مما أعطانا ورجح قبيح باطنه على حسن ظاهره وعلمنا من خبث سريره وفساد نيته ما لم علمته اللائم لنا فيه لعذرنا فى قتله ، فحكمتنا عليه لأنفسنا حكمه على غيره لنا ولم يمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه .

(١) اختلفت المصادر فى تسميتها ، فعند اليعقوبي آمنة وعند المسعودي آسية .

(٢) اليعقوبي - ٢/٢٥٧ ، المسعودي - مروج الذهب ٣/٣٠٤ ، وابن طباطبا - النخري ص ١٧٠ .

(٣) المسعودي - مروج الذهب ٣/٣٠٤ .

(٤) المصدر السابق ٣/٣٠٥ .

ثالثاً. الآثار الجانبية لقتل أبي مسلم:

لاشك أن قتل أبي مسلم الخراساني قد أثار غضب الفرس على الخليفة المنصور نظراً لمكانة أبي مسلم عندهم ، فحاول المنصور أن يحد من هذا الغضب حتى لا يتفاقم شرره فأغدق على أصحابه وأعطاهم ألف صرة في كل واحدة ثلاثة آلاف درهم وكتب كتاباً قرئ عليهم : (يا أهل خراسان إنما كان أبو مسلم عبداً من عبيد أمير المؤمنين وجد عليه فقتله فليذهب ردعكم فإن أمير المؤمنين بالغ آمالكم (١) .

ولكن ما إن تسربت الأخبار ووصلت إلى خراسان وغيرها وعلموا بمقتل أبي مسلم حتى ظهر مغامرين وطامحين قادوا باسم الثار لأبي مسلم حركات هدامة استهدفت الخروج على الخلافة العباسية والعودة إلى الفارسية القديمة .

كما اتسمت هذه الحركات بتعاليمها الدينية المأخوذة من المذاهب الفارسية القديمة وبخاصة أن بعض الفرس في مواطنهم الأصلية كانوا لا يزالون مقيمين على دينهم القديم ، وقد استمرت هذه الحركات مشتتة طوال العصر العباسي الأول (٢) .

ويشير المسعودي إلى أثر قتل أبي مسلم في ظهور هذه الحركات بقوله : (ولما نمي قتل أبي مسلم إلى خراسان وغيرها من الجبال اضطربت الخرمية (٣) وهي الطائفة التي تدعى بالمسلمية القائلون بأبي مسلم وإمامته ، وقد تنازعا في ذلك بعد وفاته ، فمنهم من رأى أنه لم يمت ولن يموت حتى يظهر فيملاً الأرض عدلاً . وفرقة قطعت بموته وقالت بإمامة ابنته فاطمة وهؤلاء يدعون الفاطمية) وأكثر الخرمية في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة الكردكية واللودشاهية وهاتان الفرقتان أعظم الخرمية ومنهم بابك الخرمي الذي خرج على المأمون والمعتمض بالبدين من أرض الران وأذربيجان ، وأكثر الخرمية ببلاد خراسان والري وأصبهان (٤) وغيرها (٥) .

(١) الدينوري - الأخبار الطوال ص ٥٥٤ .

(٢) عبد المنعم ماجد - العصر العباسي الأول ١/٦٨ .

(٣) هي إحدى الحركات الهدامة التي قام بها بابك الخرمي وسيأتي تفصيل ذكرها في باب الحركات الهدامة

(٤) أصبهان : مدينة عظيمة من أعيان المدن ومعناها بلاد الفرسان .

(٥) مروج الذهب ٣/٣٠٥ .

ولعل مقتل أبى مسلم قد صادف رغبة كامنة عند الفرس فى الخروج على الخلافة الإسلامية والعودة إلى دياناتهم القديمة حيث ظل بعض الموالى مخلصين فى قرارة أنفسهم لمعتقدات بالية وقبلوا الإسلام ظاهرياً حيث رأوا فى هذه المعتقدات المجوسية الأمل فى بعث دينهم وفى ظهور المنتقد الذى بشر به زرادشت حتى عد بعضهم أبى مسلم ذلك المنتقد .

وقد صرح الإمام ابن حزم بأن سبب خروج هذه الطوائف على الإسلام تمسكهم بالمجد الفارسى القديم فيقول : (والأصل فى خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر فى أنفسهم حتى أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً تعاضمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة فى أوقات شتى ، ففى كل ذلك يظهر الله سبحانه وتعالى الحق وكان من قائمتهم سنفاده واستأسيس والمقنع وبابك وغيرهم) (١) .

والحق أن من يدقق النظر ويتدبر الأسباب والدواعى التى دعت هؤلاء الخارجين إلى الخروج بهذه الحركات يدرك الهدف من خروجها من أول وهلة وهو كراهية الفرس للعرب ومحاربة الإسلام بكل الوسائل والطرق التى تؤدى إلى هدم أركانه وتشويه بنيانه .

بل أن هذه الحركات الهدامة التى سوف نتناولها بالبحث والدرس قد تبعتها ظهور نزعات إنفصالية فى بعض الأقاليم يمكن أن نطلق عليها حركات قومية ترمى إلى إعادة الدولة الفارسية القديمة ، فالصفاريون والسامانيون والزيديون فى طبرستان قد أحيوا العادات والتقاليد الفارسية فيما بينهم (٢) .

وسوف يظهر لنا وبجلاء الآثار الجانبية لهذه الحركات ومدى تأثيرها بالمجوسية القديمة وذلك من خلال دراستنا لها .

(١) الفصل فى الملك والأهواء والنحل ٩١/٢ .

(٢) ابن مسكويه - تجارب الأمم ص ٧١ .